التجارة الخارجية في الأندلس في عصر الدولة الأموية الثانية 138-422هـ/ 755-1030م

محمد نايف العمايرة*

محمد عطاالله الخليفات

ملخص

جاءت هذه الدراسة لتوضح التجارة الخارجية في الأندلس، فتناولت العوامل التي ساعدت على ازدهارها وتطورها، ثم العلاقات التجارية مع المشرق والمغرب، والممالك الأسبانية، زيادة على بقية أنحاء أوروبا، كما بينت الصادرات والواردات بأشكالها وأنواعها المختلفة وبخاصة المواد الغذائية، والمنسوجات والرقيق، وانتهت الدراسة إلى الوصول إلى عدد من النتائج منها: أن العلاقات التجارية انحصرت في إطار التجارة مع العالم الإسلامي خلال عصر الإمارة وأن تجارة الرقيق تصدرت قائمة السلع المتاجر بها، ونمو حركة التجارة وازدهارها تبعاً لنمو الدولة الأموية في الأندلس وازدهارها، وأخيراً رغبة أهل الأندلس في العمل بالتجارة على مختلف فئاتهم.

Abstract

The objective of this study is to shed light on the foreign trade in Andalus (spain). It also handles the factors that led to the development and prosperity not merely locally, but in Andalus commercial relations with the east, west Spanish states as well as Europe. The study also deals with the imports and exports of Andalus in their different goods, such as different brands of food, textiles and slaves.

The study has reached the following findings First, the commercial relations of Andalus were limited to the Islamic world. Secondly, slave trade was the most common transaction. Thirdly, the growth and prosperity of trade in Andalus were intimately related to the prosperity of state and the desire of the people of Andalus to work in the sector of trade.

* قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مؤتة، المملكة الأردنية الهاشمية.

تاريخ تقديم البحث: 2005/3/16. تاريخ قبول البحث: 2005/8/7.

 ISSN 1021 - 6804, 2005

حظيت بلاد الأندلس طوال العهد الإسلامي بشهرة تجارية واسعة امتدت إلى سائر دول المشرق والمغرب، وقد بدأ ذلك النشاط التجاري منذ أيام الفتح الإســـلامي الأولى للأندلـــس مع بلاد المغرب، وفي عهد الإمارة (138-316هــ/755- 928م) اتسعت دائرة النشاط التجاري الداخلية والخارجية في الأندلس، فزادت ثروة البلاد تبعاً لذلك، وعم الرخاء، وتضاعفت واردات الدولة، وبخاصة منذ عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (206 - 238هــ/822 - 852 م)، الذي فتح أبواب الأندلس أمام تجارة أهل المشرق[1]، ولكن يمكن القول إن النشاط التجاري بقي طوال أيام الإمارة محصورًا بالتجارة مع العالم الإسلامي، بسبب الغارات البحرية المتبادلة بين الأندلس من جهة، والشواطئ الإيطالية والفرنسية من جهة أخرى، الأمر الذي أعاق و أخر الحركة التجارية معها [2] .

أما عهد الخلافة (316-422هــ/928-1030م)، فقد كان عهد الازدهار الزراعي والصناعي والتجاري، إذ عُدَّت الأندلس في هذه الفترة أغنى دولة في المغرب الإسلامي وأوروبا، وأصبحت مضرب المثل بعظم الثروة، مما جعل علاقاتها التجارية تمتد لتشمل معظم دول العالم الإسلامي،وممالك أسبانيا النصرانية وبعض دول أوروبا، ومما يدل على ذلك النشاط التجاري أن عدد المراكب التي كانت تؤمن المبادلات التجارية بين الأندلس والبلدان الأخرى بلغت في عصر الخلافة حوالي ألف مركب [3] .

و لم تكن التجارة في الأندلس لتنمو وتزدهر دون أن يكون هناك ما يساعدها على ذلك، حيث تهيأت لها مجموعة من العوامل جعلت منها مركزاً هاماً في عالم التجارة وهي:

1- الموقع الجغرافي، حيث تقع جزيرة الأندلس في جنوب غرب أوروبا، ويحدها من الشرق البحر المتوسط ومن الغرب المحيط الأطلسي، ويفصلها عن باقي قارة أوروبا شمالاً جبال البرت التي تفصل بينها وبين فرنسا، ولا يفصلها عن قارة أفريقيا إلا مضيق جبل طارق، وبذلك فقد كان موقع الأندلس في مكان متوسط من العالم، وكان لهذا الموقع آثار إيجابية كثيرة جعلت من الأندلس شريكاً مهماً في تجارة البحر المتوسط، علاوة على أنها أصبحت منطقة عبور للتجارة القادمة من البلاد الإسلامية باتجاه أوروبا المسيحية.

2- وفرة المنتوجات الزراعية، فقد امتازت بلاد الأندلس باحتوائها على أخصب الأراضي الزراعية وأكثرها إنتاجاً بالمقارنة مع الممالك النصرانية في شمال أسبانيا، وبلاد المغرب العربي، وهذا ما دفع الأندلسيين إلى إيلاء الزراعة جل عنايتهم، وكان من أهم المحاصيل التي اختصت بها الأندلس: الحبوب بأنواعها وبخاصة القمح والشعير، والأرز، وكان بها من أصناف الفواكه: التفاح والعنب والتوت

والجوز والموزوالبندق والرمان والخوخ [4]، كذلك اشتهرت بزراعة السكر والكتان والقطن وبإنتاجها الوافر من الزيت والزيتون[5] .

3- تطور الصناعات الأندلسية وتنوعها، فبسبب غنى الأندلس بالمواد الخام ولا سيما المعادن كالذهب والفضة والنحاس والكبريت والقصدير والرصاص والرخام، وإلى جانب المنتوجات الزراعية ازدهرت الصناعة في الأندلس حتى ذاعت شهرة بعضها إلى الخارج وأصبحت مطلوبة في مختلف الجهات.

4- توفر الأمن والاستقرار، إذ يعد عامل الأمن والاستقرار من العوامل المهمة في تشجيع التجارة وازدهارها، وقد حرص أمراء بني أمية وخلفاؤها طوال عهدهم على إشاعة الأمن والاستقرار ببلادهم مما أشعر التجار بالاطمئنان على أنفسهم وأموالهم، فأقبلوا على أسواق البلاد بطمأنينة حتى عم النفع والرخص والسعة في جميع الأحوال، وأصبحت الأندلس في عصر الخلافة مضرب المثل في أوروبا وأسيا وأفريقيا نتيجة لتوافر الأمن والاستقرار وعظم الثروة وقوة الدولة[6] .

أ – العلاقات التجارية مع المشرق:

توطدت العلاقات التجارية بين الأندلس والمشرق منذ عصر الإمارة، عندما انتقل التجار والعلماء الأندلسيون إلى المشرق بحثاً عن العلم والتجارة في مصر والحجاز والعراق واليمن وغيرها، خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، ويظهر ذلك من خلال الإشارات العديدة التي وردت في كتب التراجم والتاريخ لهؤلاء التجار والفقهاء المسلمين الذين هاجروا من الأندلس إلى المشرق طلباً للعلم والتجارة، ومن هؤلاء: عبيدالله بن يحيى الليثي[7]، الذي رحل إلى المشرق في منتصف القرن الثالث الهجري، فدخل بغداد وقد وصف بأنه: "عظيم المال والجاه" [8]، وقاسم بن عاصم المرادي[9]، وكان أحد التجار الذين دخلوا بغداد[10]، ومحمد بن معاوية، الذي رحل من الأندلس إلى المشرق سنة 295هـ/908م حاجاً وتاجراً وطالباً للعلم، فبعد أن أكمل الحج رحل في تجارة له إلى العراق، فدخل بغداد والكوفة ومن ثم توجه إلى الهند، وفي الهند جمع ما قيمته ثلاثين ألف دينار، ثم عاد إلا أنه عندما قارب أرض الإسلام غرقت سفينته في البحر، فنجا هو سبحاً وفقد كل شئ معه، ودخل الأندلس سنة 325هـ/936م، وعاد ليدرس في قرطبة وهو خالي الوفاض [11].

ومنهم أيضاً إسحاق بن غالب[12]، الذي رحل إلى المشرق تاجراً وباحثاً عن المـال، فدخل مصر وعدن[13]، وعبد الله بن عبد المؤمن[14]، وقد رحل إلى المشرق رحلتين دخل فيهما بغداد "وكان متصرفاً في التجارة" [15].

وفي المقابل هناك تجار من أهل المشرق قاموا برحلات تجارية إلى الأندلس، ومنهم: أبو زيد وثيمة بن موسى (ت 237هـ/851 م)، أصله من بلاد فارس دخل الأندلس تاجراً، وكان يتاجر فيها بالوشي[16]،

وعبد العزيز بن جعفر (ت 413هـ/1022م) وهو من أهل بغداد دخل الأندلس تاجراً سنة 350هـ/962م وعمره ثلاثون سنة [17]، وهناك التاجر المصري عبد الرحمن بن محمد الصواف، الذي قدم الأندلس من مصر سنة 364هـ/974م وكان معاشه من التجارة، إذ كان يعمل ببيع الصوف [18].

كما تنقل تجار من غير العلماء بين الأندلس والمشرق للمتاجرة بأصناف البيوع، فقد أشار حسداي بن شبروط اليهودي (ت 359هـ / 969م) الذي كان يعمل طبيباً ومستشاراً عند الخليفة عبد الرحمن الناصر (300 –350هـ/912 –962م)، عندما وضع جدولاً للتجار الذين احتشدوا في الأندلس من أجل التجارة في عهد الخليفة الناصر، إلى وجود تجار من مصر وخرسان حملوا العطور والحجارة الكريمة ومواد رفاهية أخرى إلى قرطبة[19]، وفي الفترة نفسها التي أشار فيها حسداي إلى وجود تجار من المشرق في الأندلس، أشار ابن الأثير إلى تسيير الناصر لمركب كبير لم يعمل مثله، فيه تجار أندلسيون وأمتعه وبضائع إلى بلاد المشرق[20]، وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله (350–366هـ/ 96 – 976م) يشير ابن حيان إلى وجود تاجر أندلسي يعرف بابن نقفورة وهو محمد بن سليمان التاجر في مصر، حيث كان يتاجر بها، وبدول أخرى في شمال أفريقيا، وقد لعب فيها دوراً كبيراً في القبض على الفاسق عبد الملك بن سميت أحد الخارجين على الخليفة المستنصر بالله [21].

هذا وقد لاقى تجار المشرق احترام الأندلسيين، وحسن معاملتهم لهم، والمحافظة على مصالحهم وأموالهم والإقبال على شراء سلعهم، ويتضح ذلك من قصة الجوهري التاجر، وذلك أن تاجراً مشرقياً من عدن قصد المنصور بن أبي عامر بجواهر كثيرة وأحجار نفيسة، فاشترى منه المنصور ما استحسنه، ودفع للتاجر صرة من المال وحدث أن ضاعت هذه الصرة، فجاء التاجر إلى المنصور يشتكي ضياع المال فأرسل المنصور من يبحث له عنها حتى عثر عليها، فرد إلى التاجر الذي كاد أن يطير فرحاً من حسن معاملة المنصور له [22].

وقد ساعد الأمراء والخلفاء الأمويون إلى جانب عامة الناس في تنشيط حركة التجارة مع المشرق، من خلال شراء ما يأتي به التجار من المشرق بأغلى الأسعار، كعقد الشفاء الذي اشتراه الأمير عبد الرحمن بن الحكم "الأوسط" (206-238هـ821-852م)، من أحد تجار المشرق بعشرة آلاف دينار[23]، أو من خلال تكليف التجار بجلب ما يحتاج إليه الخلفاء من المشرق كحوض الرخام المنقوش بتماثيل الإنسان، الذي جلبه أحمد بن حزم من الشام للخليفة الناصر فوضعه في بيت المنام وكان مرصعاً بالدر النفيس الغالي[24]، وكذلك بالنسبة إلى تجار الكتب الذين كان يرسلهم الخليفة الحكم المستنصر، إلى العراق وغيرها من دول المشرق لجلب الكتب فجلبوا منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه[25].

و لم تقتصر علاقات الأندلس التجارية مع المشرق على العالم الإسلامي، فحسب، بل كانت المنتجات الأندلسية تصل زيادة على مصر ومكة وسوريا واليمن وخرسان إلى الهند والصين[(26)].

ب- العلاقات التجارية مع بلاد المغرب:

سيطر المغاربة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين على نقل التجارة بين المشرق والمغرب والأندلس، حيث كانت سفنهم دائبة الحركة إلى سورية و مصر لجلب منتجات الشرقين الأدنى والأقصى إلى شمال إفريقيا وسائر بلاد الإسلام في الغرب [(27)].

وكانت بلاد المغرب من برقة شرقاً إلى طنجة غرباً تحوي الكثير من المراكز التجارية، التي وصلت شهرتها وعلاقاتها التجارية إلى سائر دول البحر المتوسط ومنها الأندلس، وأشهر هذه المراكز: برقة وهي مدينة برية بحرية جبلية، بها من التجار وكثرة الغرباء في كل وقت[(28)]، وهي دائمة الرخاء كثيرة الخيرات، يحمل منها الصوف والعسل والقطران[(29)]، وكان يترلها التجار الأندلسيون كثيراً و هم في طريقهم إلى مصر.

ومدينة القيروان، حاضرة تونس، وهي أعظم المراكز التجارية أهمية في المغرب، إذ وصفها المقدسي: "بأنها مفخر المغرب ومركز السلطان "[(30)] ويقول البكري إن حوانيتها كانت مصطفة على طول الطريق داخل أسواقها، وأنها كانت تمتد حوالي الميلين[(31)] وكانت القيروان على علاقات تجارية نشطة مع الأندلس، إذ عن طريقها كان يصل الرقيق السوداني إلى الأندلس[(32)].

ومدينة المهدية التي أسسها الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي (297 – 322هـ / 910 – 933م) سنة 303هـ/ 915م، وهي مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط، كانت تشتهر بموقعها الحصين ويأمها التجار من كل البلاد من الإسكندرية وبلاد الشام وصقلية والأندلس وغيرها[(33)] . فقد كانت أسواقها مليئة بالسلع التي كانت تحملها السفن من الإسكندرية والشام وصقلية والأندلس وغيرها[(34)].

ونلاحظ حركة التبادل التجاري النشط بين الأندلس والمغرب في العصر الأموي من خلال ما ورد من إشارات إلى وجود جاليات تجارية أندلسية في بعض مدن بلاد المغرب، فالبكري يذكر أن بعض تجار الأندلس من أهل البيره هاجروا في سنة 262هـ/ 874م، إلى المغرب وأسسوا فيها مدينة تنس، وأنهم كانوا يترددون بسفنهم في كل عام بين شواطىء المغرب والأندلس فيقضون فصل الشتاء في المغرب والصيف في الأندلس[(35)]، ويضيف ابن حوقل: "وهي (تنس) من أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم." [(36)]، وعلى غرار هذه الجالية وجد تجار وجاليات أندلسية أخرى في مدن وهران وطبرقة والقيروان وغيرها.[(37)]

وزيادة على الجاليات، وجد هناك التجار الركاض الذين كانوا يتاجرون بين المغرب والأندلس جالبين ما يصلح لكل بلد من البلد الآخر.[38]

ومما يشير إلى أهمية العلاقات التجارية بين الأندلس والمغرب أن الخليفة عبد الرحمن الناصر خرج بنفسه سنة 301هـ / 913م، للإشراف على عملية تحرير ميناء الجزيرة الخضراء (Alqeciras) من سيطرة عمر بن حفصون، وذلك لأن الميناء كان من أهم الموانئ الأندلسية التي تخصصت بجلب المواشي من المغرب، إذ تميز مرساها بدخوله إلى البحر مما سهل عملية شحن الحيوانات.[39]

هذا ومما تجدر الإشارة إليه أن بلاد المغرب كانت الطريق البري لتجار الأندلس وحجاجها المتوجهين إلى المشرق.

ج- العلاقات التجارية مع ممالك إسبانيا النصرانية:

سيطر الأسبان خلال العصر الأموي على الأجزاء الشمالية الغربية من الأندلس، وكونوا بهذه الأجزاء عدداً من الممالك المستقلة، كان أشهرها مملكة جليقية (Galicia) التي امتدت من نهر دويرة Duero جنوباً حتى الساحل الشمالي الغربي لأسبانيا، ومن أشهر مدنها لك (Lugo)، شنت ياقب (Santiago)، ومملكة نبرة (Navarra) التي كانت تمتد بمحاذاة جبال البرت التي تفصل بين إسبانيا وفرنسا، وكانت عاصمتها بنبلونة (Pamplona)،ومملكة قشتالة وليون(Castilla and Leon) وكانت تقع بين مملكتي جليقية ونبرة ومن أشهر مدنها ليون، استرقة (Astorga) وكوفا دونجا (Covadonga)[40] .

وعلى الرغم من العداء المتبادل بين هذه الممالك والأمويين في قرطبة، إلا أن هذا العداء لم يمنع من قيام بعض الصلات التجارية بينهما، وقد بدأت هذه الصلات ابتداء من عصر الإمارة، ونستدل على ذلك من خلال النقود الأموية التي عثر عليها في منطقة استيا (Esteila) في مملكة نبرة (Navarra) النصرانية[41]، التي تعود إلى هذا العصر، مما يدل على قيام تبادل تجاري في ذلك الوقت مع هذه الدولة، كما كان لليهود أثر كبير في تفعيل حركة التجارة بين الطرفين خلال هذه الفترة أيضاً.[42]

أما عصر الخلافة الأموية فقد شهد تجارة رائجة بين الطرفين، وساعد على ذلك التقدم الصناعي والزراعي الكبير الذي شهدته الأندلس في هذه الحقبة مع تأخر الصناعة والزراعة في الممالك النصرانية.[43]

ومما يدل على قيام تبادل تجاري بين مسلمي الأندلس ونصارى إسبانيا ما يروى عن تاجر نصراني كان يتاجر بين برشلونة النصرانية والأندلس الإسلامية عام 376هـ/986م [44].

كذلك شغف وحب نساء وسيدات بلاط الممالك النصرانية بالصناعات الأندلسية، وبخاصة الأقمشة ذات الألوان الجميلة، والعاج وقناني البلور المصقولة، وكان يقوم بمهمة شراء ما تحتاجه تلك السيدات أما رجال البعثات الدبلوماسية القادمة من الممالك النصرانية إلى الأندلس، أو عن طريق بعض التجار اليهود[45].

وتقدم النقود برهاناً آخراً على الاتصال التجاري بين الأندلس والممالك النصرانية، فالدنانير الذهبية التي ضربت في الأندلس في عهد الناصر، ورد ذكرها في بعض دساتير مملكة ليون Leon تحت اسم (Cathimi) أو (Kasimi) نسبة إلى الدراهم القاسمية[46] الأندلسية، وهذا ما يشير إلى رواجها في أسبانيا النصرانية في تلك الفترة، كما أن النقود التي كانت تضرب في دار السكة في مدينة سبتة التابعة للأمويين في ذلك الوقت وصلت إلى برشلونة [47]، مما يدل على قيام تبادل تجاري بينهما في ذلك الوقت.

ولحماية العلاقات التجارية، وضمان استمراريتها بين الأمويين والممالك النصرانية عقد الطرفان معاهدات واتفاقيات تجارية بينهم، فقد أشار ابن حيان إلى إحدى هذه المعاهدات والتي وقعت في عام 328هـ / 940م، بين الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر وبين شنير (Sunier) صاحب برشلونه (Barcelona)، ووقعها بدلاً من الخليفة حسداي بن شبروط، وأبرز ما جاء في هذه المعاهدة، السماح لتجار برشلونة القدوم إلى الأندلس دون أن يتعرض لهم أحد، وتأمينهم على دمائهم وأموالهم وكل ما تضمنته سفنهم، يتصرفون في تجاراتهم حيث شاؤوا. " فوردت مراكبهم إلى الأندلس من هذا الوقت وعظم الانتفاع بهم ".[48]

د- العلاقات التجارية مع فرنسا وإيطاليا:

اتسعت دائرة العلاقات التجارية الأندلسية في العصر الأموي لتشمل بعض الدول في جنوب أوروبا وغربها ووسطها، فمنذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، اعترفت جزر البليار (الجزائر الشرقية)[49] بالسيادة الأموية، فشكلت بحكم موقعها في البحر المتوسط حلقة الوصل البحري والتجاري بين شواطىء الأندلس من جهة وشواطىء فرنسا وإيطاليا من جهة أخرى، وبقيت العملات المتداولة بها منذ فتحها وحتى سنة405 هـ /1014م من النقود التي سكت في مدينة قرطبة (Cordoba)، عاصمة الأمويين[50]، وتعرضت بعد ذلك مدينة آرل في جنوب فرنسا إلى هجمات مسلمي الأندلس، ثم ضعفت المقاومة واستطاع الأندلسيون اتخاذ قواعد شبه دائمة لهم في جزيرة كامبرج وماجلون عند مصب نهر الرون، في جنوب فرنسا، وفي سنة 290هـ/903م أسس مجاهدو الأندلس قواعد أكثر ثباتاً لهم في فراكسنيت (Fraxinet) على ساحل البروفانس الفرنسي، ثم تمكنوا من اجتياح غربي لمبارديا في شمال إيطاليا وأصبحوا يتحكمون في الممرات الواصلة بين فرنسا وإيطاليا وبخاصة ممر "مونت سيني" أعظم ممرات جبال الألب [51]، مما أصاب المدن الساحلية الإيطالية والفرنسية بالكساد، وشل نشاطها البحري والتجاري، وهذا ما دفعها إلى عقد معاهدات السلم

والسلام مع الخليفة الناصر فيما عرف بسلم الفرنجة [52]، وكانت إمارة تسكانة الإيطالية أولى إمارات إيطاليا التي وفد سفيرها إلى بلاط الخليفة الناصر بتعليمات من أميرها "جاويدو بن أدلبرت" لتوقيع معاهدة سلام مع الخلافة الأموية في بلاد الأندلس[53]، وعلى إثر توقيع المعاهدة وفد تجار أمالفي كبرى ثغور إمارة تسكانة بحراً إلى الأندلس عبر جزر البليار وكان ذلك في عام 330هـ /941م، حيث "أتوا الأندلس في البحر لطلب التجارة بما عندهم من الأمتعة، ولم يعلم لهم قبل أيام الناصر لدين الله إليها دخول، فعلقوا بأمان السلطان وجاءوا بغريب ما في بلدهم من رفيع الديباج، وغير ذلك من نفيس المتاع ... فأحمد القوم صفقتهم واغتبطوا بتجرهم، فاتصل اختلافهم إلى الأندلس فيما بعد، وعظمت المنفعة بهم"[54]، ومما يدل على رسوخ العلاقات التجارية بين أمالفي وبلاد الأندلس هو إطلاق اسم "الملف" على قماش الصوف الفاخر الذي كان يجلبه تجار أمالفي إلى الأندلس.[55]

وكان للكساد التجاري الذي أصاب ثغر أمالفي في تسكانة كبقية ثغور ساحل إيطاليا الغربي بسبب غارات أساطيل الأندلس، أكبر الأثر على تطلع الإمارات الإيطالية المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط إلى عقد معاهدات سلام وأمن تجاري مع الخلافة الأموية في الأندلس لضمان أمنها وسلامتها وتوفير الأسواق لمنتجاتها [56]، ونتيجة لنجاح إمارة تسكانة في عقد معاهدة سلام مع الخليفة الناصر لدين الله، قامت جزيرة سردانية، وإقليم البروفاس الفرنسي، وإقليم كمبانيا في إيطاليا بعقد معاهدات سلام مماثلة مع الخليفة الناصر، وكان أبرز نتائج هذه المعاهدات رسوخ العلاقات الودية، ونشاط المبادلات التجارية بين الطرفين[57]، فقد وصفت العلاقات التجارية بين مدينة نابولي (Napoli) الإيطالية والمدن الأندلسية في عصر الخلافة بأنها أوثق من صلات المدن الإيطالية بعضها ببعض، فكان أهل نابولي يصدرون للأندلس العبيد والمنسوجات نظير ما يحصلون عليه من منتجات أندلسية وبخاصة الزيت.[58]

ولعل في النقود الأموية التي عثر عليها في مناطق مختلفة من أوروبا برهان آخر على تلك الصلات والمبادلات التجارية بين الأندلس وأوروبا، فقد عثر على نقود أموية ضربت خلال الفترة 160- 400 هـ/777 – 1009م في كل من فرنسا وإيطاليا وإنجلترا وبولندا.[59]

هذا وقد كان التجار اليهود في الغالب هم حلقة الوصل بين أوروبا وبلاد الأندلس، فكانوا يجلبون السلع الأوروبية ولا سيما الرقيق الذين يباعون من قبل بعض القبائل الجرمانية ومن سواحل البحر الأسود ومن كلابريا ولمبارديا في إيطاليا إلى الأندلس.[60]

الصادرات والواردات الأندلسية:

لقد عمل تجار الأندلس في العصر الأموي بمختلف أنواع السلع والبضائع المرتفعة الثمن والرخيصة الثمن، المصنعة منها والخام، ونادراً ما كان التجار يتخصصون في نطاق سلع معينة، وكانت البضائع تنقل من وإلى الأندلس بحرية، وقد تمثلت صادرات وواردات الأندلس بما يلي:

أ- الصادرات

1- المنتجات الغذائية:

عرفت الأندلس بثرائها الكبير في الإنتاج الغذائي، الذي كان يزيد عن حاجة أهلها فيصدر منها إلى الخارج، وعلى الرغم من أن ابن خلدون لاحظ انخفاض أسعار المواد الغذائية الضرورية وارتفاع أسعار مواد الترف مثل التوابل، وأن نقل المواد الغذائية لا يمكن قبل فصل الشتاء [61]، إلا أن هناك الكثير من السلع الغذائية الأندلسية التي لاقت طريقها إلى خارج الأندلس وبخاصة زيت الزيتون والفواكه المجففة، فقد كان زيت الزيتون من أهم الحاصلات الأندلسية، فقد اشتهرت بإنتاجه مناطق متعددة كمدينة قرطبة وقبرة، ومدينة إشبيلية التي كانت من أهم مدن الأندلس إنتاجاً له واتجاراً به [62]، حتى أن الرازي [63] لاحظ أنه إذا لم تصدر إشبيلية زيت الزيتون، فسيكون هناك فائض يستحيل تخزينه وبالتالي سيكون مصيره التلف [64].

وكان هذا الفائض من الزيت الأندلسي يصدر إلى الخارج وبخاصة إلى دول البحر المتوسط مثل مصر وبلاد المغرب وجنوب أوروبا وبعض ممالك إسبانيا النصرانية. [65]

وكما هو الحال بالنسبة للزيتون الذي كان يحفظ وينقل إلى مسافات بعيدة فإن الفواكه الأندلسية المجففة لاقت رواجاً وطلباً كبيراً في الخارج، فكان التين الأندلسي لما اتصف به من عذوبة ولذاذة في الطعم [66]، يتجهز به التجار إلى مختلف الجهات وبصفة خاصة إلى فرنسا وبلاد المغرب ومصر والشام والعراق وربما وصل بعضه الهند. [67]

ويذكر الشقندي أنه لما اتصف به التين الأندلسي وبخاصة المالقي من ميزة على غيره كان يباع في أسواق بغداد كأي شيء ثمين وغال [68].

كذلك كان الزبيب المالقي والمنكبي يصدر إلى مناطق مختلفة من العالم وذلك لأنه كان من خاصيته أنه يحفظ لمدة طويلة دون أن يطرأ عليه أي تغيير، أما اللوز المالقي فقد كان يصدر إلى بلاد الروم وأفريقية ومصر [69]، في حين أن القمح والشعير والفول والحمص والعسل والسمن كان يحمل منها إلى بلاد المغرب ولكن بصفة غير دائمة. [70]

2- المنسوجات:

اشتهرت بلاد الأندلس بالكثير من الصناعات، التي تفوقت بها على غيرها، حتى غدت بعض صناعاتها ذات شهرة واسعة في العالم أجمع وفضلت على غيرها، وكان من أهم ما اشتهرت به صناعة المنسوجات الحريرية والصوفية والكتانية والقطنية التي ذاعت شهرتها في مختلف بلدان العالم. ففي القرن الرابع الهجري/ العاشر ميلادي، كان في مدينة قرطبة وحدها ثلاثة عشر ألف نول حياكة، ومائة وثلاثون ألف نساج، وكانت سجاجيدها ووشاحاتها وستائرها ومنسوجاتها الحريرية مطلوبة في العالم بأسره(71)،وبلغت جودة مصنوعاتها من الخز* والوشي درجة دفعت الناصر إلى الاستغناء عما كان يجلب إليه منها من المشرق الإسلامي(72)، أما مدينة المرية التي ورثت صناعة الحرير عن بجانة أولاً ثم عن قرطبة (73)، فقد كان بها في منتصف القرن 4هـ / 10م من طراز الحرير ثماني مائة طراز، ومن صنعة الوشي والديباج على اختلاف أنواعه، ومن صنعة الخز وجميع ما يعمل منه ما لم يبصر مثله في المشرق ولا في بلاد النصارى، وكانت هناك مدن أخرى تشارك قرطبة وبجانة والمرية في هذه الصناعات مثل سرقسطة التي اختصت بصناعة ثياب السمور(74)، ومرسية التي اشتهرت "بالطراز** العجيبة والصناعة الغريبة للوطاء والبسط" (75)، وبإشبيلية كان يصنع نوع من النسيج لا يتأثر بماء المطر.(76)

وقد انتشرت المنسوجات الأندلسية من ألبسة وأقمشة وبسط في المشرق الإسلامي منذ أوائل القرن الثالث الهجري، عندما نقل التجار اليهود الراذانيون*** (Radhanito) هذه السلع إلى مناطق مختلفة هناك حتى ربما وصلت إلى الهند والصين.(77)

أما في القرن الرابع الهجري، فيذكر ابن حوقل أن الطرز الأندلسية كانت تصل إلى مصر وخراسان، وأن الديباج والأقمشة الكتانية والقطنية تصدر من الأندلس إلى مصر واليمن ومكة (78)، كذلك كانت الحلل الموشية التي اشتهرت بها المريه ومرسية ومالقة تصدر إلى الإسكندرية والشام والهند، وبسط مرسية كان يسافر بها إلى بلاد المشرق(79)، كما شقت الصناعات النسيجية الأندلسية طريقها إلى الممالك النصرانية، إذ كانت تصدر لها الأغطية والثياب الرفيعة وخاصة المحوكة من خيوط الفضة (80).

3- التوابـــل:

تميزت الأندلس بزراعة أنواع الأفاوية (التوابل والبهارات) على نطاق واسع، إذ ذكر المسعودي إن في الأندلس من أنـــواع الأفاوية خمسة وعشرون صنفاً منها: السنبل والقرنفل والصندل والقرفة وقصب الذريرة وغير ذلك(81)، وذكر الرازي إن المحلب وهو حب شجر طيب الرائحة لا يوجد في شيء من الأرض إلا بالهند والأندلس(82)، وينقل المقري رواية ابن غالب عن المسعودي: أصول الطيب خمسة أصناف: المسك والكافور والعود والعنبر(83) والزعفران وكلها من أرض الهند، إلا الزعفران والعنبر فإنهما من الأندلس(84).

وبذلك كانت الأندلس مصدراً مهماً لتجارة التوابـــل العالمية وكان الزعفران والعصفر والعنبر من الصادرات الشهيرة للأندلـــس، فقد كان الزعفران يزرع في طليطلة ووادي الحجارة وبياسة وبلنســـية، وباغة (Priego) من أعمال غرناطة، ومن هذه الجهات كان يحمل براً وبحراً إلى الخارج [85]، ويذكر الرازي أن بلنسية أنتجت من الزعفران ما يكفي لتموين الأندلـــس كلـــها، ونقله التجار منها إلى مناطق أخرى من العالم [86] كذلك بالنسبة إلى العصفر فقد كان يصدر من أشبيلية وكورة لبلة إلى سائر الأقطار[87].

أما العنبر فقد كان يستخرج بكثرة من سواحل الأندلس الغربية، واشتهرت به مدينة أشبونة (لشبونة) وأكشونبة وشنترين وشذونة[88]، وكان يحمل من شنترين وشذونة إلى بغداد ومصر فتباع أوقيته هناك بعشرة دنانير[89].

4- الجلد والفراء:

كانت صناعة الجلد مزدهرة في الأندلس بعامة وفي قرطبة بخاصة طوال العصر الأموي، إذ توطدت بها الصناعات الجلدية منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، واتصف جلدها بالليونة مما جعله مثالياً لصناعة الأحذية والكراسي والحقائب وأطقم الفرس[90].

وقد كانت قرطبة تنتج كميات كبيرة منه لذلك كان الجلد القرطبي المنسوب لها (Cordoban) من بين الصادرات الأندلسية المهمة إلى أوروبا التي انتشرت بها بشكل كبير ولا سيما في فرنسا الكارولنجية [91]، أما ما حمل منه إلى المشرق فقد جاء عن طريق التجار اليهود الراذانيين، الذين حملوه مع سلع أخرى إلى هذه الجهات منذ أوائل القرن الثالث الهجري.[92]

ولم تقل شهرة الفراء عن الجلد، إذ كانت له أسواق نافقة في شتى مناطق البحر المتوسط؛ فكانت الثياب الفاخرة من فراء القنليات [93] تصدر إلى بلاد المغرب إذ لا يوجد بها إلا ما جلب لها من الأندلس[94]، وفراء السمور؛ كان في القرنين الثالث والرابع الهجريين يصدر إلى أسواق الشرق كافة[95]، في حين كانت الثياب المصنوعة من وبر أبو قلمون [96]، يحجر عليها خلفاء بني أمية فلا تنقل خارج الأندلس إلا سراً، فتزيد قيمة الثوب على ألف دينار لعزته [97]، وقد أشار ابن خلكان إلى حسن الثياب وجمال صنعتها وعزة مكانتها بقوله: "وحكى لي بعض الفضلاء من أهل الأندلس أنه رأى قطعة من هذه الثياب، وأراد أن يصفها لي فما قدر أن يعبر عنها، ثم قال: لكنها أرفع وأنعم من نسيج العنكبوت " [98].

5- المعـــادن:

كانت المعادن معروفة في الأندلـــس منذ القدم، وكان الرومان يستخرجون منها جانباً كبيراً، وذلك كالحديد والذهب والفضة والرصاص والنحاس، ولما دخل المسلمـــون الأندلس لم يهملوا المعادن، بل

منحوهـا أعظم العناية[99]، ومن بين المعادن التي كانت تصدرهـا الأندلـس الزئبق، الذي كان يستخرج من جهات: قرطبة "ومنها يختلف به إلى جميع آفـاق الأرض" [100]، وشلوان ومنهـا كان يصـدر إلى جميع بلاد المغرب[101]، وبطروش (Pedroche) التي اشتهـرت بتصديـره إلى جمـيع الجهات[102]، ومن حصـن أبال (Ovejo) الذي يقع شمال مدينة قرطبة، حيث منه كان يصدر إلى جميع الأقطار[103]، ومن جبال البرت (جبل المعدن Sierra de Almaden) التي تقع شـمال قرطبة، إذ كان زئبقها غزير المادة، ومنها كان يصدر إلى مختلف البلـدان[104]، وكان أجـود أنـواع الزئبق الأندلسـي يستخرج من جبل المعدن (Almaden) الذي يقع بالقرب من طليطلـة، حيث كان يعمل في استخراجـه من هناك ألف عامـل[105]، وكان الزئبق الأندلسي يصدر إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي وغير الإسلامي كما يذكر المسعودي.[106]

وهناك أيضاً الكحل الأثمد[107] الذي كان يستخرج من ناحية طرطوشة وبسطة [108] وجبل أطريجرش الذي كان يفصل بين بلاد الأندلس وبلاد الفرنج، وقد صدر من هذه الجهات إلى بلاد المغرب والمشرق، حيث وصل بعضه إلى العراق واليمن والهند.[109]

كذلك كان الكبريت من المعادن التي تاجر بها الأندلسيون، وقد صُدِّر من الأندلس إلى بلاد الشام والعراق واليمن والهند[110] . كما صدرت الأندلس مواد معدنية أخرى ومنها الرخام الأندلسي المتعدد الألوان كالأبيض والأحمر والخمري الذي صدر منها إلى بلاد المغرب، وكان مرغوباً به في المشرق[111]، والمرجان الذي نقل منذ فترة مبكرة إلى المشرق[112] ومعدن التوتيا (الألومنيوم)، حيث أمدت الأندلس بلاد المغرب بكميات وفيرة منه[113]، ومعدن النحاس، إذ كان أفضل أنواع النحاس طبقاً لوصف أبي الفضل الدمشقي ما سبك بالأندلس[114]، وأكثر ما كان يصدر النحاس الأندلسي إلى بلاد المغرب وخاصة إلى مدينة فاس.[115]

يضاف إلى ذلك أن المرقشيتا الذهبية[116] كانت تصدر إلى جميع الأنحاء[117] ولم تكن المعادن تحمل من الأندلس مواد خام فقط، بل كانت الصناعات الحديدية من سكاكين، ومقصات مذهبة وغير ذلك من آلات الجندي تجهز منها إلى بلاد أفريقية وغيرها[118]، وكان لسيوف إشبيلية شهرة واسعة في بلاد النصارى حتى أن نصارى قشتالة كانوا يفضلونها على سيوف مدينة بوردو الفرنسية.[119]

6- الخشب والفخـار:

حظيت بلاد الأندلس بتوفير جميع الظروف الملائمة لنمو الأشجار الحرجية من مناخ وتضاريس وأراضٍ واسعة فكثرت فيها الأشجار الحرجية ولا سيما البلوط الذي اشتهرت بإنتاجه قرطبة [120] ومدينة فحص البلوط (Los Pedroches)، وشجر الصنوبر الذي كثر في غابات طرطوشة حتى أنه نسب إليها لكثرته فيها

فقيل: "الصنوبر الطرطوشي" [121]، ومن الأشجار الأخرى التي انتشرت في الأندلس: السرو والبطم والبقس والعرعر والدلب والصفصاف (ويسمى السوجر) وهو شجر ضخم[122]، وانتشرت الغابات في مختلف المناطق الأندلسية من مرتفعات جبلية و أودية وضفاف أنهار وسواحل، وقد أدت كثرة هذه الغابات إلى كثرة الأخشاب وتنوعها في الأندلس وبالتالي ازدهار الصناعات الخشبية بها، مما جعل أخشاب وصناعات الأندلس الخشبية مطلوبة في مختلف جهات العالم، لذا فقد كانت الأندلس تصدر الأخشاب الصالحة لسقف البيوت إلى أفريقية[123]، وخشب البقس إلى المغرب الأقصى[124].

أما الصناعات الخشبية من قصاع ومخابئ وأطباق، فقد حملت من حصن قيشـاطة إلى أكثر بـلاد المغرب[125]، كذلك كانت الآلات الموسيقية التي اشتهرت بها إشبيلية كالبوق والعود والدف، والشقرة والنورة (وهما مزماران أحدهما غليظ الصوت والآخر رقيقه)، لا يوجد منها شيء في بلاد المغرب إلا ما جُلب لها من الأندلس.[126]

أما الصناعات الخزفية فقد بلغت منذ مطلع القرن الرابع الهجري درجة كبيرة من الإتقان والرقي، إذ برع الفخارون الأندلسيون في إنتاج أنواع عديدة من الأدوات والأواني الفخارية، كالجرار والأباريق والأطباق والقوارير التي صدرت منها إلى بلاد المغرب [127]، ومناطق أخرى من العالم، ويدل على ذلك ما عثر عليه من خزف أندلسي يعود إلى القرن الرابع الهجري في ثلاثة مراكب غارقة في شاطئ البروفانس الفرنسي.[128]

7- الرقيـق:

شكل الرقيق إحدى السلع الرئيسة التي تاجر بها الأندلسيون مسلمين ويهوداً على السواء، فمنذ أوائل القرن الثالث الهجري كان الرقيق يجلب إلى الأندلس من غرب أوروبا وإسبانيا النصرانية [129]، ومن ثم يتم إعادة تصديرهم إلى المناطق الإسلامية الأخرى في المغرب والمشرق الإسلامي، فقد أشار ابن خرداذبة ومعاصره ابن الفقيه إلى أن من بين السلع التي حملها التجار اليهود من الأندلس إلى بلاد المشرق الغلمان والجواري .[130]

وفي القرن الرابع الهجري أشار ابن حوقل إلى أن: "جميع من على وجه الأرض من الصقالبه الخصيان فمن جلب الأندلس"[131]، كما ذكر المقدسي في نفس الفترة أن الخدم البيض والجواري المثمنات الموجودة في بلاد المشرق من الأندلس وأن سعر الجارية أو الخادم من غير صنعة على وجوههما ألف دينار وأكثر.[132]

ب- الواردات

مثلما صدَّرت الأندلس السلع إلى معظم دول العالم الإسلامي، وبعض دول أوروبا وممالك إسبانيا النصرانية، فقد استقبلت السلع من جميع الأنحاء، وكان من أهم وارداتها في العصر الأموي:

1- الأغذية:

عندما كان نقل السلع الغذائية لمسافات بعيدة يعرضها للتلف أو التجفف، ولانخفاض أسعارها، وإقبال التجار الذين يقطعون المسافات البعيدة على المتاجرة بالسلع التي تمتاز بالأسعار المرتفعة، مثل مواد الترف والتوابل، فقد اقتصرت واردات الأندلس من المواد الغذائية في الغالب على ما كان يأتي إليها من بلاد المغرب باعتبارها قريبة منها.

وتمثلت هذه الواردات بالحنطة المغربية (القمح) الذي كان يجلب إلى الأندلس من وهران وسلا وطبرقة وتنس (133)، والسكر الذي كان يجلب من بلاد المغرب والمشرق .(134)

أما الفاكهة فقد كانت ترد إلى الأندلس كميات وفيرة منها من مدينة سبتة المغربية(135)، كما أن قفصة والقيروان كانتا تصدران إلى الأندلس كميات كبيرة من الجوز واللوز والفستق(136).

وأحياناً جلب التجار إلى الأندلس أشجار الفاكهة إلى جانب ثمارها، لاغتراسها في بلاد الأندلس، فالأمير عبد الرحمن الداخل (138 - 172هـ / 755 - 788م) كان يرسل بعض رجاله إلى المشرق لجلب أشجار الفاكهة من بلاد الشام، فقد وردت إشارة تؤكد على ذلك، إذ أرسل معاوية بن صالح إلى الشام وعند عودته جلب معه كثيراً من مزروعات الشام، وفي ذلك يقول الخشني: "ثم لما صار معاوية إلى الأمير عبد الرحمن أدخل إليه تحف أهل الشام وكان في تلك التحف من الرمان المعروف اليوم بالأندلس بالرمان السفري، فجعل جلساء الأمير من أهل الشام يذكرون الشام ويتأسفون عليها وكان منهم رجل يسمى (سفر بن عبيد الكلاعي) فأخذ من ذلك الرمان وغرسه حتى علق ونما وأثمر، فهو اليوم الرمان السفري نسبة له "(137).

زيادة على الرمان السفري، جُلب من الشام أشتال التين السفري والنخيل والقراصيا البعلبكية(138) وانتشرت زراعتها في مختلف بلاد الأندلس حتى أصبحت فيما بعد إنتاجاً أندلسياً وصُدِّرت ثمارها إلى البلدان الأخرى.

2- الطيب والتوابل:

شكلت العطور والتوابل بضاعة مهمة في التجارة لمسافات بعيدة، وذلك لأنها من السلع الخفيفة الوزن والمرتفعة الثمن، وكانت معظم التوابل تستورد إلى الأندلس وخاصة من الهند والشرق الأقصى، حيث تجد لها في الأندلس سوقاً جاهزة ومستقرة (139).

وكانت الأندلس تستورد من الهند المسك والكافور والعود لقلة توفرها ببلاد الأندلس (140)، ويبدو أن الكميات المستوردة من هذه الأصناف كانت كبيرة، ونستدل على ذلك من خلال ما تضمنته هدية ابن شهيد

إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة 327هـ / 938م، إذ احتوت هذه الهدية على مائتين واثنين وتسعين رطلاً من العود الهندي، ومائة أوقية من المسك وثلاثمائة أوقية من الكافور الهندي النقي.(141)

ولم تقتصر الأندلس في وارداتها من التوابل على الهند، بل كانت تستورد من فلسطين النيل(142)، ومن العراق ماء الورد(143)، وكانت التوابل تجلب إلى الأندلس بوساطة التجار المسلمين واليهود على السواء، فقد كان لليهود الراذانيين دور فاعل في جلب توابل الهند من عود وقرفة وصبار وسنبل وبقم(144) إلى الأندلس في طريق عودتهم من المشرق (145).

3 – المنسوجات والجلود:

لقد كانت الألبسة الحريرية، والأنسجة الكتانية والقطنية والصوفية والمفروشات من بسط وسجاد، من أهم الصناعات الأندلسية في عهدها الأموي، إلا أن ورشات النسيج الأندلسية المنتشرة في شتى أنحاء الدولة كانت بحاجة إلى كميات كبيرة من الخيوط اللازمة لهذه الصناعة، فمثلاً كانت مدينة قرطبة في عصر الخلافة تتباهى بوجود ثلاثة عشر ألف نول حياكة فيها (146)، ومدينة المرية كان: "أهلها كلهم رجالًا ونساء صناع بأيديهم، وأكثر صناعة نسائهم الغزل، الذي يقارب الحرير في سومه، وأكثر صناعة رجالهم الحياكة" (147).

وهذا ما جعل الأندلس بحاجة إلى استيراد كميات كبيرة من خيوط الكتان والصوف الخام، اللذين كانا يجلبان إليها من مصر وبلاد المغرب (148)، فيتم تصنيعه فيها ثم يعاد تصديره مرة أخرى إلى مصر ومكة واليمن(149). ولم تقف الأندلس عند حد استيراد الخيوط فقط، بل استوردت أيضاً منسوجات جاهزة ولا سيما العجيبة الصنعة، كثياب الملف من مدينة أمالفي الإيطالية (150)، والثياب السبنية (151) من العراق (152)، والوشي والديباج من الشام(153) والمطارف والملاحف البغدادية المزينة بالحرير والذهب (154).

أما الجلود ولا سيما جلود الثعالب والفنك (155) فقد كان يرد إلى الأندلس كميات وفيرة منها، وبخاصة من المهدية وفاس ببلاد المغرب (156) ومن خراسان وسيبيريا.(157)

4– المعادن والجواهر:

استوردت الأندلس اعتباراً من عهد الخلافة معدن الحديد المعروف بالشلق من إسبانيا النصرانية وبصفة خاصة من مملكة قشتالة Castilla، وكان هذا الحديد يستخدم في الأندلس في صناعة آلات الحرب من السيوف والسكاكين والرماح، أما معدن النحاس، فقد جلب للأندلس من بلاد المغرب الأقصى(158)، والرخام الوردي والأخضر كان يرد من أفريقية؛ من سفاقس وقرطاجنة (159)، ومنه ماجلب من رومه والقسطنطينية.(160)

ومن بلاد المغرب جلب للأندلس حجر الزرنيخ[161]، أما الذهب فقد نشط التجار اليهود منذ فترة مبكرة بجلبه إلى الأندلس من بلاد السودان، حيث كان ينبت بها كما ينبت الجزر بالرمل [162].

وشكلت الجواهر صنفاً آخر من الواردات، فمنذ مطلع القرن الثالث الهجري شقت جواهر وتحف الشرق طريقها إلى الأندلس، ويروي المؤرخون في هذا الصدد قصة العقد الشهير الذي أهداه الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى زوجته الشفاء، وكان لهذا العقد شهرة كبيرة في العراق وكان يسمى "الثعبان" إذ كان ملكاً لزبيدة زوجة هارون الرشيد، وقد اشتراه الأمير عبد الرحمن الأوسط بعشرة آلاف دينار من الذهب، عندما عرض عليه شراؤه من بين مجموعة من التحف الثمينة المسروقة من قصور بغداد إبان الفتنة والحروب التي قامت بين الأمين والمأمون[163].

كذلك كان يرد إلى الأندلـــس من بلاد المشرق اللؤلؤ، الذي كان يفضله الأندلســـيون على سائر الأنواع[164]، ومن بلاد المغرب كان يُجلب للأندلس من العقود والذخائر ما يباع بها بالنفيس والخطير[165]، أما العاج، فقد استوردت الأندلس منه كميات كبيرة من بلاد السودان والحبشة [166]، إذ كان يستخدم فيها لصناعة التحف العاجية ولا سيما الصناديق المعدة لحفظ الحلي والعطور النسائية[167]، كما استخدم في تزيين قصور الخلفاء، فقد كان لمجلس الخليفة عبد الرحمن الناصر "المسمى بقصر الخلافة... ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج". [168]

5- الرقيـــق:

ومن بين الواردات التجارية إلى الأندلس الرقيق، الذي عد من السلع الرئيسة في أسواق الأندلس، وقد تاجر بهم المسلمون واليهود، فمنذ القرن الثالث الهجري دأب التجار اليهود على جلب الرقيق البيض الصقالبة إلى الأندلس من أوروبا الشرقية وإسبانيا النصرانية [169]، وفي القرن الرابع الهجري يشير ابن حوقل إلى مصدر آخر للرقيق الصقلبي في الأندلس، إذ كانوا يجلبون من سواحل البحر الأسود ومن لمبارديا **Lombardia** وكلابريا **Calabria** في إيطاليا، هذا إلى جانب ما كان يجلب من برشلونة **Barcelona** وجليقية **Galicia** في شمال إسبانيا عن طريق الغارات التي يقوم بها المجاهـــدون المســـلمون الذين يهاجمون سواحل المناطق المذكورة [170].

وقد اضطلع هؤلاء الرقيق الصقالبة المجلوبون من أوروبا بدور مهم في دولة الخلافة الأموية، إذ شكلوا جزءاً من جند الخليفة في قرطبة، وقاموا بأعمال الخدمة لحريم القصر ولا سيما الخصيان منهم [171]، وكان هؤلاء الصقالبة يباعون في الأندلس أحداثاً صغار السن، فيتعهدهم أمراء الأندلس بالرعاية ويتولون تنشئة خاصة، فيعلمونهم اللغة العربية وفنون الفروسية، وآداب المجتمع الأندلسي، ويدربونهم على شئون القصر[172]،

لذا فقد احتل بعضهم مكانة رفيعة في الدولة فصار منهم الأدباء والشعراء وأصحاب المكتبات الكثيرة، وبعضهم شارك الأكابر والوزراء في تصريف أمور الدولة، مثال ذلك الصقلبيان فائق صاحب البرد والطراز، وجؤذر صاحب الصاغة والبيارزة، اللذان استبدا بالسلطة في عهد الخليفة الحكم المستنصر[173]، وتولى بعضهم مناصب إدارية رفيعة كالإشراف على المصانع ومخازن الأسلحة، وقيادة الجيوش أحياناً، فقد نال نجدة الصقلبي في عهد الخليفة الناصر مكانة لم ينلها أحد، إذ عين على رأس حملة لقتال ملك ليون Leon راميرو الثاني(Ramiro II) عام 327هـ / 937م، لكن نجدة انهزم في هذه الحملة وقتل.[174]

وقد بلغ عدد الصقالبة البيض الذين يخدمون في دوائر الدولة المختلفة عند وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر ثلاثة عشر ألف وسبعمائة وخمسين صقلبياً [175]، وهذا ما يشير إلى نشاط حركة استيرادهم ومبالغة الخلفاء في اصطناعهم والاعتماد عليهم بدلًا من العرب.

أما الرقيق السود، فقد كانوا يجلبون إلى الأندلس من بلاد السودان وبلاد البربر، وكانوا يستخدمون في أعمال البناء والخدمة ونقل الأحمال[176]، وكان سعر البالغ منهم يساوي ثلاثين ديناراً [177].

كذلك شكل الرقيق الجواري سلعة لا تقل أهمية عن الرقيق الذكور في واردات الأندلس، وقد جلبت الجواري السود من السودان والحبشة، وعرفن بقلة في الأندلس[178]، أما الجواري البيض فقد جلبن من بلاد الروم وافرنجة وجليقية[179] وبعضهن جلب من المشرق، إذ يذكر عن الأمير عبد الرحمن الأوسط أنه كان عنده ثلاث جوار جلبن له من المدينة المنورة فعرفن "بالمدنيات" وهن فضل وقلم وعلم [180]، وقد أطلق عليهن لقب "المدنيات" لا لأنهن من أبناء المدينة المنورة ولكن لأنهن تربين وتثقفن فيها على فن الغناء ورواية الشعر، وإنما أصلهن من سبي إسبانيا النصرانية، أدى بهن طريق الرق إلى المشرق ثم عـــاد بهن مرة أخرى إلى الأندلس[181].

وقد عُدَّت الجواري في الأندلس من السلع الكمالية ومن أنفس ما يتهادى به ذوو الأخطار، فابن شهيد أهدى عبد الرحمن الناصر هدية ثمينة تحدث عنها المؤرخون بإطناب، وكان من جملة هذه الهدية عشرون جارية من متخير الرقيق بكسوتهن وزينتهن [182].

وانتشر شراء واقتناء الجواري في الأندلس بين الخلفاء وكبار رجال الدولة وعامة الناس، وذلك للحاجة إليهن في أعمال الخدمة، وأحياناً للذة، وهذا ما ساعد في تنشيط حركة استيرادهن والمتاجرة بهن، فعدد النساء من الجواري والخدم بقصر عبد الرحمن الناصر بلغ رقماً خيالياً وصل إلى (6314) امرأة [183]، ويبدو أن عبدالرحمن الناصر كان يستكثر من هؤلاء الخدم الصقالبة ذكوراً أم إناثاً بهدف استخدامهم في الجيش وفي الخدمة داخل القصر وإعدادهم للقيام ببعض الوظائف الكتابية في الدولة.[184]

واقتدى زعماء الإمارات الانفصالية بأمراء بني أمية وخلفائها في اقتناء الجواري، إذ يذكر عن إبراهيم بن حجاج صاحب إمارة إشبيلية في عهد الأمير عبد الله بن محمد (275 - 300هـ / 888 - 913م)، أنه سمع

بجارية بغدادية اسمها قمر، فوجه بأموال عظيمة إلى المشرق في ابتياع هذه الجارية، إلى أن استقرت بدار مملكته بإشبيلية[185].

وهناك من عامة الناس من ملك عشرين جارية، ومنهم من ملك ستين [186] ، وتباينت أسعار الجواري في الأندلس، فالمتعلمات والجميلات وصغيرات السن كن أغلى ثمناً من الجاهلات والكبريات في السن [187]، كذلك أثرت حالة العرض والطلب في أسعارهن، ففي عهد المنصور بن أبي عامر ولامتلاء الأندلس بالغنائم والسبي من بنات الروم حدث أن " نودي على ابنة عظيم من عظماء الروم بقرطبة وكانت ذات جمال رائع، فلم تساو أكثر من عشرين ديناراً"[188] في حين كانت تباع الجارية البيضاء في عهد الخليفة الناصر ما بين ثلاثمائة دينار وخمسمائة دينار[189]، وبلغن في بعض الأحيان ألف دينار، أما الجارية السوداء فقد كانت تساوي ثلاثمائة دينار[190].

6- الكتـــب:

مثلت الكتب نوعاً آخر من السلع التي نشط التجار في جلبها إلى الأندلس، ولا سيما من العراق مهد الحضارة ومنبع ثقافة الأندلس، وبدأ ذلك منذ عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، عندما أرسل العلماء إلى العراق لجلب الكتب، فأتاه عباس بن ناصح أحد فحول شعراء الأندلس بكتاب السندهند وغيره [191]، وأتاه تاجر عراقي بكتاب العروض للخليل بن أحمد الفراهيدي [192]، وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر بلغت تجارة الكتب في الأندلس أوجها إذ: "كان يبعث في الكتب إلى الأقطار رجالاً من التجار، ويسرب إليهم الأموال حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه"[193]، وكان له وكلاء (تجار كتب) عرفوا بالوراقين كانوا ينتخبون له غرائب التواليف، من أشهرهم الفيلسوف المشهور محمد بن طرخان الفارابي وراق الحكم في بغداد[194]، وعمر بن محمد المعروف بابن الوفي الذي أقام بالبصرة حوالي عشرين سنة تولى خلالها ابتياع الكتب والذخائر له [195].

ويذكر عن الخليفة الحكم المستنصر إنه بعث في كتاب الأغاني لمصنفه أبو الفرج الأصفهاني، وأرسل فيه ألف دينار من الذهب، فبعث إليه نسخة منه قبل أن يخرجه بالعراق وكذلك فعل مع القاضي أبو بكر الأبهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وأمثال ذلك [196]، فاجتمع له من الكتب ما لم يسبق له مثيل في الإسلام، حتى قيل أن عدد فهارس تسمية الكتب التي بمكتبته بلغت أربعاً وأربعين فهرسة، وفي كل فهرسة عشرون ورقة، ليس فيها إلا أسماء الدواوين لا غير.[197]

ولم يقتصر الحكم في جلب الكتب على التجار المسلمين فحسب، بل كان يرسل العلماء اليهود أيضاً إلى المشرق لجلب ما شاء من الكتب، ومثال ذلك حسداي بن إسحق أحد أحبار اليهود، الذي أرسله الحكم إلى المشرق فجلب الكثير من تأليف اليهود.(198)

واقتدى بالحكم رجال دولته وعظماء مملكته، فأنشأوا المكتبات حتى أصبح حب الكتب في الأندلس سجية في أهلها، وأصبح اقتناؤها من شارات الوجاهة والرئاسة عندهم، فقد يكون الرئيس منهم جاهلاً ويحتفل أن تكون في بيته خزانة كتب، ليقال فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس هو عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به، وكانت قرطبة في عصر الخلافة تتباهى من بين مدن الأندلس جميعها بسوق كتبها الذي كانت تنتخب له الكتب من سائر البلدان وبخاصة من العراق وبلاد الشام(199).

7- الحيوانات:

اعتمدت الأندلس على شمال أفريقيا وغربها في توفير معظم الحيوانات الأليفة والنادرة التي كانت تحتاج إليها، فقد استوردت الأندلس من هذه الجهات الأغنام والماشية والفيلة وحمار الوحش وذو القرن (كركدن) والزرافات والطيور المختلفة، وأعداد كبيرة من الجمال والخيول، إذ بلغ مجموع ما استوردته الأندلس من الخيول في عهد الخليفة الناصر و الحاجب المنصور بن أبي عامر من شمال أفريقيا أكثر من ألف فرس (200).

8- واردات أخرى:

ومن واردات الأندلس الأخرى، السيوف والحراب والنبل والخوذ الخشبية من الهند وبلاد الفرنجة، وسروج الخيل والأواني الزجاجية من العراق(201).

الخاتمـــة:

نستخلص من هذه الدراسة التي تناولت التجارة الخارجية في الأندلس في عصر الدولة الأموية، عدداً من الحقائق أهمها:

1- بينت الدراسة أن علاقات الأندلس التجارية الخارجية بقيت طوال عصر الإمارة منحصرة في إطار التجارة مع العالم الإسلامي، بسبب الغارات البرية والبحرية المتبادلة بين الأندلس من جهة وممالك إسبانيا النصرانية ودول أوروبا من جهة أخرى، أما عصر الخلافة، فقد كان عصر القوة والازدهار الزراعي والصناعي والتجاري في الأندلس مما جعل علاقتها التجارية تمتد لتشمل جميع دول العالم الإسلامي وممالك إسبانيا النصرانية وبعض دول أوروبا، إذ ساهمت معاهدات السلام التي وقعت في ذلك العصر بين الأندلس وتلك الدول في تهيئة أجواء آمنة للتبادل التجاري.

2- لقد ساهم الموقع الجغرافي للأندلس في جعلها شريكاً مهما في تجارة البحر المتوسط، إذ أصبحت الطريق الذي عبرت من خلاله تجارة العالم الإسلامي إلى ممالك أسبانيا النصرانية وبعض دول أوروبا.

3- يلاحظ من خلال قائمة البضائع المعروضة في حركة الصادر والوارد أن الرقيق قد تصدر قائمة السلع الأندلسية المتاجر بها خارجياً وذلك لقرب الأندلس من دول أوروبا موطن هذه السلعة، ولوجود سوق نافقة لها في معظم دول العالم الإسلامي، ولأنها من التجارات التي كانت تدر أرباحاً كبيرة على أصحابها.

4- إن حركة التجارة الخارجية كانت تنمو بنمو الدولة الأموية وازدهارها الاقتصادي، وأنها ساهمت إلى حد بعيد في توثيق علاقاتها الخارجية وبخاصة مع الممالك النصرانية وبلاد الفرنجة.

5- كان العمل في التجارة مرغوباً به من مختلف فئات المجتمع الأندلسي، إذ نجد حتى الفقهاء والعلماء والمؤدبين لم يترددوا في تعاطيها كلما سمحت لهم الفرصة بذلك، كما أن لقب التاجر قد التصق بأسماء كثير من الأشخاص والعائلات المشهورة.

الهوامش

1- ابن عذاري، أبو العباس احمد بن محمد (كان حيا سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 3 أجزاء، ط3، تحقيق: ج . س . كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت 198، جـ2، ص91 .

2- جودة، صادق، تاريخ المغرب والأندلس، ط1، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان 1997م، ص356 .

3- ريسلر، جاك، الحضارة العربية، منشورات عويدات، بيروت 1993م،ص157.

4- القزويني، زكريا بن محمد (682هـ/ 1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت 1969م، ص503 .

5- الشقندي، إسماعيل بن محمد (ت 629هـ/ 1232م)، فضائل الأندلس وأهلها، لابن حزم وابن سعيد والشقندي، نشرها وقدم لها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، 1968م، ص55 ؛ حتاملة، محمد عبده، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، دراسة شاملة، مطابع الدستور التجارية، عمان 2000م، ص1039.

6- بول، استانلي لين، قصة العرب في إسبانيا، ترجمة: علي الجارم، دار المعارف، القاهرة (د . ت)، ص113.

7- عبيدالله بن يحيى الليثي: من أهل قرطبة، يكنى: أبا مروان،روى عن أبيه علمه، ورحل إلى المشرق حاجاً وتاجراً، وكان مقدمًا في المشاورة في الأحكام، توفي سنة 298هـ/910م. انظر: ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله بن محمد الأزدي (ت 403هـ / 1012م)، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، ط، جزءان، عني بنشره: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة 1988م، جـ1، ص292- 293 .

8- ابن الفرضي، تاريخ العلماء، جـ1، ص293 .

9- قاسم بن عاصم المرادي: هو قاسم بن عاصم بن خيرون بن سعيد،من أهل بجانة، يكنى أبو محمد، وكان مشهوراً بالتجارة، سمع من العديد من مشايخ بغداد، وكان حافظا للمسائل، درس بقرطبة وبها توفي سنة 300هـ/912م .انظر: ابن الفرضي، تاريخ العلماء، جـ1، ص400- 401.

10- ابن الفرضي، تاريخ العلماء، جـ1، ص400.

11- الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر (ت 488هـ/ 1095م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م، ص79-80 ؛ ابن الفرضي، تاريخ العلماء، جـ2، ص70.

12- إسحاق بن غالب: هو أبو القاسم إسحاق بن غالب بن تمام العصفري، من أهل قرطبة يعرف بالقريضي، سمع من شيوخ مصر وعدن والقيروان، توفي سنة 389هـ/998م. انظر: ابن الفرضي، تاريخ العلماء، جـ1، ص88-89.

13- ابن الفرضي، تاريخ العلماء، جـ1، ص88 .

14- عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن: من أهل قرطبة يعرف بابن الزيات، ويكنى: أبو محمد، سمع من شيوخ بغداد والبصرة ومصر، وكان كثير الحديث، صدوقاً في روايته. توفي سنة 390هـ/999م. انظر: ابن الفرضي، تاريخ العلماء، جـ1، ص288.

15- ابن الفرضي، تاريخ العلماء، جـ1، ص288.

16- الحميدي، جذوة المقتبس، ص328.

17- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578هـ / 1182م)، كتاب الصلة، 3 أجزاء، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة 1989م، جـ2، ص547.

18- ابن بشكوال، كتاب الصلة، جـ2، ص519.

19- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت 469هـ / 1076م)، المقتبس، جـ5، اعتني بنشره: ب. شالميتا، وف . كورينطي و م. صبح وغيرهم، المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد 1979م، ص454 ؛ كونستبل، اوليفيا ريمي، التجارة والتجار في الأندلس، تعريب: فيصل عبدالله، مكتبة العبيكات، الرياض 2002م، ص140.

20- ابن الأثير، علي بن محمد (ت 630هـ/ 1233م)، الكامل في التاريخ، 8 أجزاء، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت 1995م، جـ7، ص 253 – 254.

21- ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت (د.ت)، ص 86 – 87.

22- ابن عذاري، البيان المغرب، جـ2، ص291-292 ؛ المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/ 1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 8 مجلدات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1988م، مج1، ص412-413.

23- ابن عذاري، البيان المغرب، جـ2، ص91 – 92 .
24- ابن الخطيب، لسان الدين أحمد بن عبدالله (ت 776هـ / 1373م)، تاريخ إسبانيا الإسلامية، أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت 1956م، ص 38.
25- ابن خلدون (808هـ/1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،7 مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت 1992م،جـ4، ص17.
26- كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، ص 79 – 80.
27- لويس، ارشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (د.ت)، ص 252.
28- ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (توفي بعد 367هـ/ 977م)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت)، ص 69.
29- البكري، أبو عبيدالله عبدالله بن عبد العزيز (ت 487هـ / 1064م) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، تحقيق: البارون دي سلان، ط2، الجزائر 1911م، ص 25.
30- المقدسي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت 380هـ/ 990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، ليدن 1967م، ص 225.
31- البكري، المغرب، ص5.
32- مسعد، سامية مصطفى، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة 2000م، ص 140.
33- البكري، المغرب، ص 29 .
34- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي(ت 845هـ- 1441م)، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، لجنة أحياء التراث الإسلامي، القاهرة 1996م، ج1، ص70.
35- البكري، المغرب، ص 60-61؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت 723 أو 727هـ/ 1323 أو 1327م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت 1984م، ص 138.
36- ابن حوقل، صورة الأرض، ص78.

37- ابن حوقل، صورة الأرض، ص 76-77 ؛ البكري، المغرب، ص 70 ؛ بوتشيش، إبراهيم القـادري، أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة، مجلة المناهل، تصدرها وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، عدد32، السنة الثانية عشره، 1985م، ص 236-237.

38- ابن بشكوال، كتاب الصلة، جـ3، ص 864، 867، 888، 923 ؛ ابن الفرضي، تاريخ العلماء، جـ2، ص 194.

39- ابن حيان، المقتبس، جـ5، ص 87 ؛ ابن غالب، محمد بن أيوب الغرناطي (عاش في القرن 6هـ/ 12م) قطعه من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 1، جـ 2، نوفمبر 1955م، ص 294.

40- البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب "المسالك والممالك"، ط 1، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد، بيروت 1968م، ص71، 79 ؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله البغدادي (626هـ / 1228م)، معجم البلدان، 5 أجزاء، دار صادر، بيروت 1979 م، جـ4، ص157.

41- عبد الحليم، رجب محمد، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د . ت)، ص 479.

42- بروفنسال، ليفي، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (711-1031م)، ترجمة علي عبد الرؤوف وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م، ص210 .

43- عبد الحليم، العلاقات، ص 473.

44- كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، ص159.

45- بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة 1985م، ص118-119 ؛ عبد الحليم، العلاقات، ص 473.

46- الدراهم القاسمية: تنسب إلى شخص اسمه قاسم بن خالد (ت 332هـ / 943م) وكان أحد ولاة دار السكة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، إذ ضرب أثناء ولايته لدار السكة دراهم من العيار الجيد فنسبت له. انظر: ابن حيان، المقتبس، جـ5، ص 243 – 244.

47- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (عاش أواخر القرن 6هـ / 12م)، كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مج13، مدريد 1965 – 1966م، حاشية 2، ص 59 .

48- ابن حيان، المقتبس، جـ5، ص 454.

49- جزر البليار: تقع جزر البليار شرق الأندلس في البحر المتوسط، وتتكون من خمس جزر هي: ميورقة ومنورقة ويابسة وفرمنتيرة وقبريرة، وتبلغ مساحتها 4900كم². انظر: البكري، جغرافية الأندلس، ص66؛ سيسالم، عصام سالم، جزر الأندلس المنسية، دار العلم للملايين، بيروت 1982م، ص15.

50- سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص 572.

51- سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص110 ؛ لويس، القوى البحرية والتجارية، ص230.

52- ابن حيان، المقتبس، جـ5، ص 454 .

53- سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص 113.

54- ابن حيان، المقتبس، جـ5، ص 478 .

55- ابن حيان، المقتبس، جـ5، ص 485 ؛ سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص 114.

56- سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص 114.

57- ابن حيان، المقتبس، جـ5، ص 485 ؛ ابن خلدون، العبر، جـ4، ص172؛ سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص 116.

58- لويس، القوى البحرية والتجارية، ص271.

59- كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، ص 85.

60- ابن حوقل، صورة الأرض، ص 109، طه عبد الواحد، دراسات أندلسية، ط1، الموصل، 1986، ص 119.

61- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1999م، ص706– 707.

62- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت 560هـ / 1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 8 مجلدات، ط1، عالم الكتب، بيروت 1989م، مج2، ص541؛ الزهري، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (توفي في أواسط القرن 6هـ/ 12م)، كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق 1968م، ص89.

63- الرازي: هو أحمد بن محمد بن موسى الكناني، الملقب بأبي بكر، ولد سنة 247هـ/887م، وتوفي سنة 344هـ/955م. وهو من كبار المؤرخين والجغرافيين الأندلسيين في العصر الأموي. انظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص97؛ المبادر، سالم سعدون، الفكر الجغرافي عند الرازي، مجلة المؤرخ العربي، ع39، السنة الخامسة، 1988م، ص251 .

64- Levi –Provencal , "La Description de Espagne ", d ' Ahmed AL –Razi (AL – Andalus) , 1953 , p . 93 .

65- الإدريسي، نزهة المشتاق،مج2، ص541، الحميري، الروض المعطار، ص59؛ الزهري، كتاب الجغرافية، ص 132،89 ؛ لويس، القوي البحرية والتجارية، ص271 .

66- الإدريسي، نزهة المشتاق، مج2، ص543 .

67- الإدريسي، نزهة المشتاق، مج2، ص565 ؛ الشقندي، فضائل الأندلس، ص57؛ المقري، نفح الطيب، مج1، ص 151؛ كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، ص277.

68- الشقندي، فضائل الأندلس، ص57.

69- الزهري، كتاب الجغرافية، ص81 ؛ Levi , Description , p . 98 .

70- ابن حيان، المقتبس، جـ 5، ص389.

71- ريسلر، الحضارة العربية، ص 157؛ بول، قصة العرب في إسبانيا، ص 128.

* الخزُّ:- نوع من الثياب ينسج من الصوف والحرير. انظر ابن منظور، لسان العرب، ط3: 1999، ج4:ص81 .

72- القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد (ت 363هـ / 973م)، كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي وآخرون، الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس 1978م، ص 180.

73- الإدريسي، نزهة المشتاق، مج 2، ص 562؛ الحميري، الروض المعطار، ص 538؛ الزغول، جهاد غالب، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (29 – 897هـ/ 711-1492م)، ط1، مركز الأفق، عمان 2001م، ص 104؛ Levi , Description, p. 67.

74- سحر السيد عبد العزيز، دور الطراز في الأندلس في عصر دولة بني أمية، مجلة دراسات أندلسية، ع1، تونس 1995م، ص 94 .

** الطراز: من طرز الثوب أي جعل له طرازاً أي زخرفة ولونه بأشكال جميله، ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص 143.

75- العذري، أبو العباس أحمد بن عمر (ت 487هـ / 1085م)، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبدالعزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد 1965م، ص 9 .

76- سحر السيد، دور الطراز في الأندلس، ص 94.

*** اليهود الراذانيون: من التجار اليهود الذين ينقلون البضائع بين الشرق والغرب، واصل الراذانيون غير واضح فالبعض يجعله على أساس اسمهم الجماعي وتبعاً للطرق التي استخدموها ولان هذه الطرق تبدأ من فرنسا أو شبه جزيرة أبيريا، ومن ثم تتقدم نحو الجنوب خلال بلاد المغرب ثم إلى مصر، فأن بعض العلماء جعل أصول سكنهم أما في جنوب فرنسا أو في الأندلس ورأي يقترح أن اسمهم مشتق من نهر الرون، ورأي آخر يرى أن العراق البلد الأصلي لهم. انظر كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس ، ص146.

77- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت272هـ /885م)، المسالك والممالك، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه: محمد مخزم، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1988م، ص 131.

78- ابن حوقل، صورة الأرض، ص 105، 109.

79- الزهري، كتاب الجغرافية، ص 31 ؛ المقري، نفح الطيب، مج1، ص 201.

80- كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، ص 268.

81- المسعودي، علي بن الحسن (ت 345 هـ / 956م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 6 أجزاء، تحقيق: شارل بيلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 1975م، جـ1، ص 194-195.

82- المقري، نفح الطيب، مج1، ص 140.

83- العنبر: هو مادة صلبة لا طعم لها ولا رائحة إلا إذا سحقت أو أحرقت فإنه حينئذ ينبعث منها رائحة ذكيه، وقيل العنبر روث بعض الحيتان البحرية أو نبات ينبت في البحر. انظر: ابن الشباط، محمد بن علي التوزري (ت 681هـ/ 1282م)، صلة السمط وسمة المرط، تحقيق: أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مج 14، مدريد 1967- 1968م، ص4 .

84- المقري، نفح الطيب، مج1، ص 199.

85- ابن حيان، المقتبس، جـ5، ص 319؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص 284-285 ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، مج2، ص 596 .

86- Levi , Description , p .73 .

87- العذري، نصوص عن الأندلس، ص 96 ؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص145.

88- الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد (توفي في النصف الأول من القرن 4هـ / 10م)، مسالك الممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، مطابع دار القلم، القاهرة 1961م، ص 42 ؛ ابن خلكان، أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ/ 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 8 أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت (د.ت)، جـ 7، ص 138 ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص 291 ؛ المقري، نفح الطيب، مج1، ص 144.

89- المسعودي، مروج الذهب،جـ1، ص194 ؛ كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، ص 258 .

90- ريسلر، الحضارة العربية،ص 157؛ كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس،ص288.

91- كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، ص 288-289.

92- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 131.

93- القنليات: جمع قنلية، و هو حيوان أدق من الأرنب وأطيب في الطعم وأحسن وبراً، وكثيراً ما تلبس فراؤها . انظر: المقري، نفح الطيب، مج1، ص 198.

94- المقري، نفح الطيب، مج1، ص198 ؛ الزغول، الحرف والصناعات في الأندلس، ص 113.

95- الاصطخري، مسالك الممالك، ص 45 ؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 131؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 239.

96- أبو قلمون: هي دابة تقع بشنترين في وقت من السنة من البحر فتحتك بحجارة على شط البحر فيقع منها وبر وهو في لين الخز لونه لون الذهب، وهو عزيز الوجود، فيجمع وينسج منه ثياب تتلون في اليوم ألواناً. انظر: الاصطخري، مسالك الممالك، ص 42 ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 240.

97- الاصطخري، مسالك الممالك، ص 42 .

98- ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ7، ص 138.

99- أرسلان، شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ط 1،3 أجزاء، المطبعة الرحمانية بمصر، 1936 م، جـ1، ص 182.

100- مجهول المؤلف، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، تقديم: حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مج 13، 1965-1966م، ص 21؛ ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت 290هـ / 902م)، مختصر كتاب البلدان، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1988م، ص 84 .

101- المراكشي، محي الدين بن محمد (ت 647 هـ / 1242م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار القراء وأعيان الكتاب، تحقيق:محمد سعيد العريان، (د.ت)،ص 448.

102- الزهري، كتاب الجغرافية، ص 87.

103- الإدريسي، نزهة المشتاق، مج 2، ص 581.

104- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص89؛ المقري، نفح الطيب،مج1،ص143،برواية الرازي.

105- الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي (ت 570هـ / 1147م)، كتاب الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة جيد الأغراض ورديها وغشوش المدلسين فيها، منشور ضمن كتاب دراسة في الفكر الاقتصادي العربي للسيد محمد عاشور، ط1، دار الاتحاد العربي للطباعة، 1973م، ص 28 ؛ أرسلان، الحلل السندسية، جـ1، ص 182.

106- المسعودي، مروج الذهب، جـ1، ص 194.

107- الكحل الأثمد: هو حجر له معادن كثيرة وأجود أنواعه الأصفهاني، وهو حجر يخالطه الرصاص، ينفع العيون اكتحالاً ويرفع عنها طبق الماء، ويقوي أعصابها . انظر: القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، المكتبة الأموية(د. ت)، ص 186.

108- شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب (ت 727هـ / 1326م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر،ط 1، دار إحياء التراث العربي،بيروت 1988م، ص 321 ؛ المقري، نفح الطيب، مج1، ص 143.

109- الزهري، كتاب الجغرافية، ص 80، 96 ؛ كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، ص 282.

110- الزهري، كتاب الجغرافية، ص 31، 99 .

111- كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، ص 283.

112- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 45 ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 239.

113- مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس، ص 170.

114- الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص 27 – 28.

115- كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، ص 279 .

116- المرقشيتا: حجر له أصناف منها الذهبية، ومنها الفضية، ومنها النحاسية، وجميع أصنافها يخالطها الكبريت، وينفع العين من العلل، ويرقق الشعر و يجعده، و إذا علق على الصبي لم يفزع . انظر: القزويني، عجائب المخلوقات، ص 209.

117- البكري، جغرافية الأندلس، ص 128 .

118- المقري، نفح الطيب، مج1، ص 202 .

119- عبد الحليم، العلاقات، ص 474 .

120- الإدريسي، نزهة المشتاق، مج2، ص 580 .

121- الإدريسي، نزهة المشتاق، مج2، ص 575 ؛ هياجنة، محمود حسين، الوضع الزراعي في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان 1989م، ص 184.

122- ابن العوام، أبو زكريا يحيى بن محمد (عاش في القرن 6هـ / 12م)، كتاب الفلاحة، مدريد 1802م، ص 401-403 .

123- برامون، دولورس، المغرب من خلال كتاب الجغرافيا لمحمد الزهري، ترجمة: فرحات الدشراوي، مجلة دراسات أندلسية، ع3، تونس 1989م، ص 46 .

124- الزهري، كتاب الجغرافية، ص80 ؛ برامون، المغرب من خلال كتاب الجغرافيا، ص50 .

125- الإدريسي، نزهة المشتاق، مج2، ص 569 .

126- الشقندي، فضائل الأندلس،ص52؛ الزغول، الحرف والصناعات في الأندلس،ص 132.

127- الزغول، الحرف والصناعات في الأندلس، ص 167 – 168؛ مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس، ص 171.

128- كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، ص 285.

129- كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، ص 304-305.

130- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص131؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان،ص80.

131- ابن حوقل، صورة الأرض، ص 106.

132- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 45 ؛ ريسلر، الحضارة العربية، ص65 .

133- ابن حوقل، صورة الأرض، ص 76، 79 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص 138.

134- برامون، المغرب من خلال كتاب الجغرافيا، ص 51 ؛
Imamuddin. S.M, Economic History of Spain ,Asiatic Society of Pakistan, Dacca 1963 , p . 341.

135- مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس، ص 171.

136- البكري، المغرب، ص47 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ4، ص 383.

137- الخشني، محمد بن حارث (ت361هـ /971م)، قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة 1966م، ص 17.

138- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ / 1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 14 جزءاً، قدم له: الشيخ محمد رسول، المكتبة المصرية، القاهرة 1963م، جـ، ص 216 ؛ ترند، ج . ب، المسلمون في إسبانيا، تاريخ العالم، 5 أجزاء، أشرفت على ترجمته إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم بمصر، مكتبة النهضة المصري، القاهرة (د. ت)، ص734؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس،ص165.

139- الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص43 ؛ كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، ص234.

140- المسعودي، مروج الذهب، . جـ1، ص 194؛ المقري، نفح الطيب، مج1، ص 199.

141- المقري، نفح الطيب، مج1، ص 357 ؛ ابن خلدون، العبر، جـ 4، ص 166.

142- كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، ص 241 .

143- ابن حيان، المقتبس، جـ5، ص 352 .

144- البقم: شجر ضخم أحمر يصبغ به، وقيل البقم صبغ معروف وهو العندم . انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ / 1311 م)، لسان العرب، 15 جزءاً، دار صادر، بيروت 1992م، مج12، ص 52 .

145- بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص211 ؛ كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس،ص 238.

146- ريسلر، الحضارة العربية، ص 157.

147- الزهري، كتاب الجغرافية، ص 102 .

148- ابن حوقل، صورة الأرض، ص 92؛ الزهري، كتاب الجغرافية، ص 113 – 114.

149- ابن حوقل، صورة الأرض، ص 109 .

150- ابن حيان، المقتبس، جـ5، ص 487 .

151- الثياب السبنية:نوع من الثياب تنسب إلى سبن، وهي محلة ببغداد. انظر: ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن(ت 633هـ /1235م)، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرون، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1997م، ص159.

152- ابن دحيه، المطرب، ص 159.

153- ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، القاهرة 1994م، ص 226.

154- المقري، نفح الطيب، مج1، ص 358.

155- الفنك: دابة يفترى جلدها، أي يلبس جلدها فروا . انظر: ابن منظور، لسان العرب، جـ 10، ص480 .

156- ابن حيان، المقتبس، جـ5، ص352؛ برامون، المغرب من خلال كتاب الجغرافيا، ص45.

157- المقري، نفح الطيب، مج1، ص357 ؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص402.

158- الزهري، كتاب الجغرافية، ص 104، 117-118.

159- المقري، نفح الطيب، مج1، ص 526 .

160- المقري، نفح الطيب، مج 1، ص566.

161- حجر الزرنيخ: هو حجر له ألوان كثيرة، منه أحمر وأصفر وأغبر، ينفع في معالجة الجرب والسعفة الرطبة وإزالة خضرة الأسنان وقطع البواسير. انظر: القزويني، عجائب المخلوقات، ص 119.

162- ابن الفقيه، كتاب مختصر البلدان، ص 83.

163- ابن عذاري، البيان المغرب، جـ2، ص91؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص211؛ العبادي، احمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت 1978م،ص130.

164- كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، ص 252.

165- ابن بسام، الذخيرة، ق4، جـ1، ص82 .

166- الزغول، الحرف والصناعات في الأندلس، ص 231 – 232؛ زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، 3 أجزاء، دار مكتبة الحياة، بيروت(د. ت)،جـ3،ص558.

167- بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ص 86.

168- المقري، نفح الطيب، مج1، ص 527.

169- بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص 390 ؛ كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، ص 304 – 305 .

170- ابن حوقل، صورة الأرض، ص106؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص391.

171- بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص391 .

172- أبو الفضل، محمد أحمد، تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها (344-484هـ/ 955-1091م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية 1981م، ص 78 .

173- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 60 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ2، ص 259 .

174- أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية، ص 78 .

175- المقري، نفح الطيب، مج1، ص 567.

176- الاصطخري، مسالك الممالك، ص 40؛ ابن العطار، محمد بن أحمد (ت 399هـ / 1008م)، كتاب الوثائق والسجلات، اعتنى بتحقيقه ونشره: ب شالميتا، وف. كورينطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد 1983م، ص 55؛ زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ص 558.

177- ريسلر، الحضارة العربية، ص 65 .

178- أبو صالح، وائل، الجواري في الأندلس، منشورات دار القلم، رام الله (د.ت)، ص20 .

179- ابن حوقل، صورة الأرض، ص 106 ؛ ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص 35 .

180- ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت 658هـ/ 1259م)، الحلة السيراء، جزءان، ط 2، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة 1985م، جـ1، ص 114؛ المقري، نفح الطيب، مج1، ص 350 ؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص 213.

181- بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص 213.

182- ابن خلدون، العبر، جـ4، ص 166 ؛ المقري، نفح الطيب، مج1، ص 359.

183- المقري، نفح الطيب، مج 1، ص 567.

184- أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية، ص 78.

185- ابن عذاري، البيان المغرب، جـ2، ص 128.

186- ابن الفرضي، تاريخ العلماء، جـ2، ص 123 ؛ أبو صالح، الجواري في الأندلس، ص18.

187- أبو صالح، الجواري في الأندلس، ص 16.

188- المراكشي، المعجب، ص 84.

189- الحميدي، جذوة المقتبس، ص 334 ؛ ابن الفرضي، تاريخ العلماء، جـ2، ص123.

190- ريسلر، الحضارة العربية، ص 65.

191- الدوري، تقي الدين عارف، تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الأندلس، ط 1، منشورات جامعة ناصر الخمس، ليبيا 1997م، ص 166.

192- العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص 153.

193- ابن خلدون، العبر، جـ4، ص 175.

194- ابن الآبار، الحلة السيراء، جـ1، ص 202.

195- المقري، نفح الطيب، مج1، ص 386 ؛ بدر، أحمد، الحيـاة الفكـرية في الأندلـس من خـلال النشـاط الفكـري في بلاط الحكم المستنصر بالله، مجلة دراسات تاريخية، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، ع 19-20، نيسان، تموز 1985م، ص 11 .

196- ابن خلدون، العبر، جـ4، ص 175 ؛ المقري، نفخ الطيب، مج 1، ص 386 .

197- المقري، نفح الطيب، مج1، ص385 .

198- ابن أبي أصيبعه، موفق الدين أبو العباس (ت 668هـ / 1269م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت 1965م، ص498.

199- المقري، نفح الطيب، مج1، ص462-463.

200- Imamuddin , Economic History of Spain , p . 338.

201- ابن حيان، المقتبس، جـ5، ص 268، 352-353 ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعـلام، ص 101 ؛ المقري، نفح الطيب، مج1، ص 359، 383.